

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه. {رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا} [الكهف: 10].

{رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} [آل عمران: 8].

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً.

نحمدك الله على كل حال، ونعوذ بالله من حال أهل النار.

خير ما أحبيكم به أيها الأخوة الكرام: تحية الإسلام، وتحية الإسلام السلام، فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

«وبعد»

القرآن -الذي أنزله الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم- أعظم نعم الله على الأمة. وبإنزاله كمل الدين وتمت النعمة، كما قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: 3].

فهو الكتاب الخالد الذي: {لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفَةٍ تَنْزِيلٍ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت: 42]، وهو: {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [هود: 1].

نحن المسلمون وحدنا نملك كلمات الله الخالدة الباقية، التي لم يعثرها

تحريف ولا تبديل. أما الكتب السماوية التي أنزلها الله على رسله السابقين قبل محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد أصابها التحريف اللفظي والمعنوي⁽¹⁾، ولم تبق سالمة مصفاة؛ لأن الله لم يحفظها، وإنما استحفظ عليها أهلها⁽²⁾، ولم يتكفل بحفظها؛ لأنها كانت كتباً موقوتة لقوم مخصوصين في مرحلة معينة.

فلما جاءت رسالة الإسلام العامة الخالدة، أنزل الله لأهلها ولل البشرية كلها كتاباً خالداً، لا يعتريه تحريف ولا تبديل؛ لأن الله تتكفل بحفظه بنفسه، ولم يستحفظه أحداً من خلقه، قال عز من قائل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9].

ولذلك لا نجد كتاباً سماوياً بقي كما أنزله الله تعالى إلا القرآن الكريم، فهو الكتاب الذي بقي كما أنزل على محمد صصص، فنحن نقرؤه كما كان يقرؤه رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن هذا القرآن حفظ من جميع جوانبه. جوانب حفظ القرآن الكريم:

الأول: حفظ بطريقة نطقه وإلقائه أو أدائه، في الغن والمد والإظهار والإدغام وغير ذلك. وكان هذا سبباً في تأليف علم التجويد، الذي يخدم القرآن ويحافظ على طريقة الأداء بأحكامه المعروفة، لتبقى طريقة أداء القرآن الكريم كما كانت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

(1) التحريف اللفظي بتبديل كلمة مكان كلمة، أو حذفها نهائياً. والتحريف المعنوي بسوء التأويل. قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 75].

(2) قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبِّيُّونَ وَالْأَخْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [المائدة: 44].

الثاني: حفظ بطريقة كتابته، فمنذ كتب في عهد عثمان ررر بقيت كتابته ورسمه على ما كان عليه في عهد عثمان، ولم يطرأ على هذه الكتابة إلا شيء من النقط والشكل فقط، ولذلك نجد كلمات في القرآن تكتب على غير قواعد الإملاء التي نعرفها مثل كلمة: «الصلواة، والزكواة، والربى»، وغير ذلك من الكلمات التي بقيت على هذا الرسم إلى الآن، ولم يجروا أحد أن يغير في هذا الكتاب، حتى في رسم هذه الكلمات ليبقى هذا الكتاب سالماً.

كما أن هناك مئة وأربع عشرة سورة في كتاب الله كلها بدئت بالبسملة: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [الفتحة: 1]، إلا سورة واحدة هي سورة التوبة «سورة براءة»⁽³⁾.

(3) اختلف العلماء في عدم ذكر البسملة في أول سورة «براءة» على أقوال: الأول: أنه قيل: كان من شأن العرب في الجاهلية إذا كان بينهم وبين قوم عهد، فإذا أرادوا نقضه كتبوا إليهم كتاباً ولم يكتبوا فيه بسملة «باسمك اللهم»، فلما نزلت سورة براءة بنقض العهد الذي كان بين النبي صمصص والمشركين، بعث النبي صمصص علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقرأها عليهم في الموسم، ولم يبسم في ذلك على ما جرت به عادتهم في نقض العهود من ترك البسملة.

الثاني: قيل: إنهم لما كتبوا المصحف في خلافة سيدنا عثمان رضي الله عنه، اختلف أصحاب رسول الله صمصص فقال بعضهم: براءة والأنفال سورة واحدة، وقال بعضهم: هما سورتان. فتركت بينهما فرجة لقول من قال: هما سورتان، وتركت: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [الفتحة: 1]، لقول من قال: هما سورة واحدة.

الثالث: قيل: إن هذه السورة جاءت بالعذاب والنكال، و{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} رمز للأمان والرحمة والاطمئنان، فلا تناسب بينهما، وهذا هو السر في عدم كتابة البسملة في هذه السورة، قال ابن عباس: سألت علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، لم لم يكتب في براءة: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}، وكتبت في غيرها؟ فقال: لأن {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} أمان، وهذه السورة نزلت بالسيف، ونبت العهود، فهي حرب ليس فيها أمان، وقال سفيان بن عيينة: إنما لم تكتب في صدر السورة البسملة؛ لأن التسمية رحمة

ولم يجرؤ أحد طوال أربعة عشر قرناً أن يقول: لنضع فيها البسملة لتكون
غيرها. ولم ولن يجرؤ أحد على ذلك، وهذا من أسرار حفظ هذا الكتاب الذي
خصنا الله به.

ولذلك نحن المسلمون نعتز ونفخر بأن عندنا كلمات الله الهادية النيرة التي
تضيء للبشرية كلها طريق الحياة إلى التي هي أقوم، وأن هذه الكلمات تكفل
الله بحفظها فلم يصبها تغيير ولا تبديل.

خصائص القرآن الكريم:

من خصائص القرآن الكريم أنه كتاب ميسر، يسره الله للحفظ والفهم
والذكر.

1- تيسير حفظه:

يسر الله القرآن الكريم للحفظ، فهناك الآلاف المؤلفة من العرب ومن غير
العرب الذين لا يعرفون العربية من الأطفال الصغار يحفظون هذا الكتاب،
يقرؤونه عن غيب، ولا يخطئون ولا يلحنون.

كنت في الباكستان وزرت بعض المدارس هناك، فوجدت كثيراً من
الطلاب الصغار بها يحفظون القرآن الكريم، منهم من يحفظ نصفه، ومنهم
من يحفظ ثلثيه، ومنهم من يحفظه كله. وسألت بعض هؤلاء في حفظه للقرآن
الكريم فكان الواحد منهم مثل المسجل «ركورد» حافظ للقرآن، لا يخرم منه
حرفاً، ولا يسقط كلمة، وحين قلت له: ما اسمك؟ لم يعرف ما أقول، لم يفهم

والرحمة أمان، وهذه السورة نزلت في المنافقين وبالسيف، ولا أمان للمنافقين ولا
كرامة. انظر: القرطبي (93/10-95).

معنى كلمة: «ما اسمك؟»، فهو لا يعرف كلمات العربية ولا معانيها، ومع هذا يحفظ القرآن الكريم، ويجيد حفظه وترتيله. أليس هذا من أسرار تيسير الله هذا الكتاب للحفظ؟

إنه لا يوجد كتاب يحفظه الناس دون أن يعرفوا معانيه إلا القرآن الكريم. وقد رأى إخواننا هنا في قطر نماذج من هذا الصنف من الناس، في امتحانات مسابقة القرآن الكريم، فقد امتحنوا أناسا يعيشون في قطر من الباكستانيين والهنود وغيرهم، من بلاد الشرق الأقصى، فوجدوهم يحفظون القرآن كله، ولا يعرفون كلمات العربية ولا معانيها، وقد لفت نظري وأنا أزور بنجلاديش منذ سنوات، أني زرت مدرسة إسلامية هناك يجلس طلابها على التراب- فوجدت بها صبيا عمره أقل من تسع سنوات، يحفظ القرآن الكريم كله. امتحنته في «الطواسين» و«الحواميم» والمتشابهات⁽⁴⁾ في القرآن فلم يخطئ في كلمة، وهو صبي دون التاسعة من العمر، وليس من العرب، ولا في بلاد العرب. علام يدل هذا؟ ألا يدل على تيسير الله هذا الكتاب للحفظ؟

(4) الطواسين أو الطواسيم: هي السور التي تبدأ «بطسم» وهي سورة الشعراء، والنمل، والقصص.

والحواميم: هي السور التي تبدأ «بحم» وهي غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

والمتشابهات: هي الآيات التي يشبه بعضها بعضا في اللفظ، مثل آيات قصة «آدم» سسس، في سورة البقرة، والأعراف، والحجر، وطه، وص، وليس المقصود بها المتشابهات الآيات التي هي خلاف المحكمات في قول الله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ} [آل عمران: 7].

هل في استطاعة أعظم قسيس، أو أعظم أسقف، أو كردينال أن يحفظ صفحات معدودة من التوراة أو الإنجيل؟ لا أظن ذلك بإمكانه.

2- تيسير فهمه:

وكما يسر الله القرآن للحفظ، فقد يسره أيضا للفهم، فأى إنسان عربي أو يعرف العربية يستطيع أن يقرأ القرآن ويفهم منه على قدر ما آتاه الله.

قد لا يفهم المعاني العميقة، وقد لا يفهم بعض الألفاظ، ولكن بمجرد أن يقرأ القرآن يحس بمعانيه، وأنها لتملك عليه قلبه. وكم رأينا بعض الأميين الذين لا يقرؤون ولا يكتبون يكون لمجرد سماع القرآن، ما الذي أبكاهم؟ أتراهم يكون من فراغ؟ أم أن هناك من المعاني والقيم ما استقر في قلوبهم لمجرد السماع، ففاضت بسببه أعينهم؟ وصدق الله إذ يقول: {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدُنَّا} [مريم: 97]، وإذ يقول: {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [الدخان: 58]، وحين قال: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ} [القمر: 17].

وهذا من خصائص هذا الكتاب العظيم الذي أكرمنا الله به، والذي هو آية وهداية في الوقت نفسه، فهو الآية الكبرى والمعجزة العظمى لرسولنا محمد صص. وهو هداية الله التامة للبشرية: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} [الإسراء: 9].

هناك قبل رسولنا أنبياء ورسل أعطاهم الله الآيات، وأمدهم بالمعجزات، كموسى سسس فقد أعطاه الله العصا، كما حكى القرآن في قوله تعالى: {قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى} 18 قَالَ

أَلْقَهَا يُمُوسَى 19 فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى { طه: 18-20 }، وآية اليد كما في قوله تعالى: { وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيِّضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ءَايَةً أُخْرَى { طه: 22 }.

وكعيسى عليه السلام أعطي إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله، قال تعالى: { إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ادْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدِكَ إِذْ أُيِّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ { المائدة: 110 }.

هذه الآيات نسميها الآيات الحسية أو الكونية، وهي عظيمة ولا شك، ولكن هذه الآيات لا يؤمن بها إلا من رآها وعاشها، ثم بعد ذلك تكون خبرا من الأخبار.

أما معجزة محمد صلى الله عليه وسلم، وآيته الكبرى فكانت هي القرآن الكريم⁽⁵⁾، وهي آية أدبية عقلية معنوية، ومعجزة باقية على الدهر، تمضي

(5) عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صصص قال: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن أو آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أني أكثرهم تابعا يوم القيامة». متفق عليه: رواه البخاري في «فضائل القرآن» (4981)، ومسلم في «الإيمان» (152)، والنسائي في «الكبرى» كتاب «فضائل القرآن» (7923). قال أمير الشعراء أحمد شوقي في قصيدته «نهج البردة»:

جاء النبيون بالآيات فانصرفت وجئتنا بحكيم غير منصرم
آياته كلما طال المدى جدد يزينهن جلال العتق والقدم

الأيام والسنون والأعوام والدهور والأعصار، وهي حية باقية.

فلا زال القرآن حيا باقيا نتحدى به العالم كله، نتحدى بإعجازه البياني، وإعجازه التشريعي، وإعجازه الإصلاحي، وإعجازه العلمي⁽⁶⁾ هذه بعض مزايا القرآن الكريم.

واجبنا نحو القرآن الكريم:

ومن هنا كان علينا واجب، بل واجبات نحو هذا الكتاب العظيم كما سماه الله تعالى، فقد سمي الله تعالى القرآن الكريم ببعض أسمائه فهو: عظيم وعزيز وعلي وحكيم ومجيد وكريم، كما في قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ} [الحجر: 87]، وقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ} [فصلت: 41]، وقوله زرز: {وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ} [الزخرف: 4]، وقوله: {ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ} [ق: 1]، {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ} [البروج: 21]، وقوله: {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ} [الواقعة: 77].

إحسان التلاوة والاستماع:

أولها: أن نحسن تلاوته إذا تلوناه، وأن نحسن استماعه إذا استمعنا إليه.

ومعنى أن نحسن تلاوته: أن نمثل لقوله تعالى: {وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا} [المزمل: 4]، أي نقرأ القرآن بترتيل⁽⁷⁾ كما كان يقرؤه الرسول صص،

(6) من الكتب التي جددت التحدي بالقرآن في عصرنا: كتاب «الوحي المحمدي» للعلامة رشيد رضا.

(7) الترتيل: هو التأنى والتمهل في القراءة، وتبيين الحروف والحركات، تشبيها بالثغر المرتل، وهو المنضد المستوي الأسنان.

وحكم الترتيل: قال السيوطي: يسن ترتيل القرآن، قال تعالى: {وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا}

والصحابه رضوان الله عليهم، ومن تبعهم بإحسان⁽⁸⁾. وهذا يلزمه أن نحافظ

— = [المزمل: 4].

هذا ما قاله الحافظ السيوطي رحمه الله، ولو قال قائل بوجوب الترتيل لكان أقرب إلى ظاهر ما يدل عليه الأمر القرآني، فإن الأصل في الأوامر القرآنية: أنها تفيد الوجوب. والخطاب في الآية للنبي صصص، أصلا والأمة تبعاً، ولذا قال الزركشي: على كل مسلم قرأ القرآن أن يرتله. «البرهان» (449/1). وهذه العبارة أوفق من عبارة السيوطي.

(8) نعتت أم سلمة رضي الله عنها، قراءة النبي صصص، فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً. عن يعلى بن مالك، أنه سأل أم سلمة عن قراءة رسول الله صصص، وصلاته بالليل. فقالت: «وما لكم وصلاته، كان يصلي ثم ينام قدر ما صلى، ثم يصلي قدر ما نام، ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح» ونعتت له قراءته فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً. رواه أحمد في «المسند» (26526)، وقال مخرجه: إسناده ضعيف لجهالة يعلى بن مالك، وبقيّة رجاله ثقات رجال الشيخين، غير يحيى بن إسحاق فمن رجال مسلم، وأبو داود في «الصلاة» (1466)، والترمذي في «فضائل القرآن» (2923)، وقال حسن صحيح غريب، والنسائي في «الافتتاح» (1022)، والحاكم في «صلاة التطوع» (453/1)، وصححه على شرط مسلم، وسكت عنه الذهبي.

وعن قتادة قال: سئل أنس كيف كانت قراءة النبي صصص؟ فقال: كانت مداً، ثم قرأ: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}، يمد بسم الله، ويمد بالرحمن، ويمد بالرحيم. رواه البخاري في «فضائل القرآن» (5046)، وأحمد في «المسند» (13002)، وأبو داود في «الصلاة» (1465)، والنسائي في «الافتتاح» (1014)، وابن ماجه في «إقامة الصلاة» (1353).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلاً قال له: إني أقرأ المفصل في ركعة واحدة. فقال: هذا كهذ الشعر، إن قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب، فیرسخ فيه نفع. متفق عليه: رواه البخاري في «الأذان» (775)، ومسلم في «صلاة المسافرين» (822)، وأحمد في «المسند» (3607)، والنسائي في «الافتتاح» (1005). أخرج الأجزري في أخلاق حملة القرآن، عن ابن مسعود قال: «لا تنتروه نثر الدقل، ولا تهذوه هذ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن همّ أحكم آخر السورة». الدقل: رديء التمر. رواه ابن شيبه في «الصلاة» (8825)، والبيهقي في «الشعب» باب «تعظيم القرآن» (360/2)، وفي «الكبرى» جماع أبواب «صلاة

على سلامة النطق وأحكام التجويد فنخرج الحروف من مخارجها الصحيحة، ونعطيها حقها ومستحقها كما يقول علماء التجويد⁽⁹⁾، وأن لا نغير فيها بأن ننطق حرفا مكان آخر؛ لأن هذا يترتب عليه فساد المعنى، أو فهم معنى آخر يتنافى ومعنى القرآن الكريم.

فمثلا هناك بعض الناس لا يخرجون ألسنتهم في نطق «الثاء» و«الذال» و«الظاء»، وهذا وإن جاز في اللغة العادية فإنه لا يجوز ولا يليق بقارئ القرآن، ومثله أيضا عدم تعطيش «الجيم». وهناك ما هو أفسى على النفس من هذا عند من يقبلون القاف غينا في قوله تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} [القدر: 1]، وفي قوله تعالى: {وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ} [النجم: 48]، لا بد أن نحسن القراءة، وأن نخضع لهجاتنا للقراءة السليمة، ولا نتساهل في هذا بحال من الأحوال.

— = التطوع» (13/3).

(9) التجويد لغة: التحسين. واصطلاحًا: إخراج كل حرف من مخرجه مع إعطائه حقه ومستحقه.

وحق الحروف: الصفات اللازمة التي لا تفارقها كالاستعلاء والاستفال. ومستحقها: الأحكام الناشئة عن تلك الصفات كالتمخيم ينشأ عن الاستعلاء، والترقيق ينشأ عن الاستفال، فإن لم يعط القارئ الحروف حقها ومستحقها ربما تغير مدلول الكلمات. قال الإمام ابن الجزري في باب التجويد:

وهو إعطاء الحروف حقها من صفة لها ومستحقها

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أنه كان يقرئ رجلا فقرا الرجل: {إِنَّمَا أَصَدَّقْتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ} [التوبة: 60]، مرسلة «أي: بغير مد» فقال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما هكذا أقرأنيها رسول الله صصص» فقال الرجل: «وكيف أقرأكها يا أبا عبد الرحمن؟» قال: «أقرأنيها هكذا: {إِنَّمَا أَصَدَّقْتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ}»، ومد الفقراء. رواه الطبراني في «الكبير» (137/9)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: رجاله ثقات (231/7).

تقويم اللسان بالقرآن:

ولا بد من تقويم اللسان بالقرآن، فمن فضائل القرآن أنه يقوم اللسان، ويعلم الفصاحة، ويمنح القدرة على الخطابة. وقد فطن لهذا بعض الناس من غير المسلمين، فبعض النصارى في مصر كانوا يعلمون أولادهم القرآن في الصغر ليكون عوناً لهم على الفصاحة في مستقبلهم، حكى ذلك أديب معروف في مصر وهو الدكتور «نظمي لوقا» وهو نصراني كما نعرف.

وقد ألف كتاب «محمد: الرسالة والرسول»، وكتاب «وامحمداه» و«محمد في بيته» إلخ، وقال في مقدمة «الرسالة والرسول»: إن أباه جعله عند شيخ يعلمه القرآن حتى يستقيم لسانه من الصغر⁽¹⁰⁾.

وكان مكرم عبيد — وهو قبضي وزعيم سياسي معروف في مصر — من الخطباء المشهورين، والذي أعطاه القدرة على الخطابة: حفظه للكثير من القرآن الكريم واقتباسه منه. ونحن أولى الناس بأن نحسن تلاوته، وأن نقوم به ألسنتنا.

ضرورة معرفة أحكام التجويد:

وإذا كانت المحافظة على سلامة النطق أمراً ضرورياً ولازماً لمن يقرأ القرآن، أو لمن يتعلمه؛ فإن معرفة أحكام التجويد وطريقة الأداء — أيضاً — أمر ضروري، فلا تكفي المعرفة النظرية لأحكام التجويد، بل لا بد من التطبيق العملي حتى نقرأ القرآن كما كان يقرأه الرسول صلى الله عليه وسلم، والصحابة رضوان الله عليهم.

(10) الموسوعة الإسلامية الكبرى، «محمد الرسول والرسالة» (ص33، 34).

ومن فضل الله تعالى علينا أن يسر لنا هذا، يسر لنا سماع المصحف المرتل من الإذاعات، فبالإمكان أن يسمع الإنسان من إذاعة القرآن الكريم ما يشاء، وبالإمكان أن يحضر الإنسان الأشرطة والمسجل، وهناك المصحف المعلم، وهناك أيضا مراكز تحفيظ القرآن الكريم، كل هذا ميسر لنا والحمد لله.

ولا عذر يقبل عن تقصير منا، أو قصور فينا، فواجبنا جميعا أن نقرأ القرآن قراءة حسنة كما كان يقرأه الصحابة، وأن نعلم أولادنا وتلاميذنا هذه القراءة.

التدبر والخشوع:

ولا بد مع سلامة النطق ومراعاة أحكام التجويد، من التدبر والخشوع؛ لأن الله تعالى يقول: {كُتِبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِيَذَّبَرُوا عَائِيَّتَهُ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ} [ص: 29]، أي أنزل للتدبر والتذكر، ويقول سبحانه: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [النساء: 82]، ويقول: {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد: 24]، فلا بد أن نعيش القرآن بقلوبنا وعقولنا. هذا هو المهم، فلا يليق أبدا أن نقرأه بألسنتنا وقلوبنا مشغولة عنه؛ لأن هذا يتنافى وجلال القرآن وعظمته⁽¹¹⁾.

(11) المقصود من القراءة هو الفهم والتدبر لإدراك معاني الآيات، وفقه ما فيها من حكم ومواعظ، ومعرفة ما تنطوي عليه من عقائد وعبادات، وما ترشد إليه من آداب وفضائل، وما تشرعه من حلال وحرام، وما تورده من قصص وتذكير، وإذا لم يتحقق المقصود من القراءة بترك التدبر والفهم فقد فات القارئ خير كثير.

والله ععم ما أنزل كتابه إلا ليتدبره قارئه، ويفقه معانيه، قال تعالى: {كُتِبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِيَذَّبَرُوا عَائِيَّتَهُ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ} [ص: 29]، ولهذا لم يكن النبي صلى الله

ورحم الله محمد إقبال⁽¹²⁾ شاعر الإسلام في باكستان؛ لقد كانت قراءته للقرآن تختلف عن قراءة الناس، ولهذه القراءة الخاصة فضل كبير في تذوقه

عليه وسلم، يعني بكثرة القراءة بقدر ما كان يعني بالتدبر والفهم، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: «قام بنا رسول الله صصص ليلة بآية حتى أصبح وهي: {إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [المائدة: 118]»، رواه أحمد في «المسند» (21328)، وقال مخرجه: إسناده حسن، والنسائي في «الافتتاح» (1010)، وابن ماجه في «إقامة الصلاة والسنة فيها» (1350)، والحاكم في «الإمامة وصلاة الجماعة» (367/1)، وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في «الشعب» باب «الخوف من الله» (482/1)، وفي «الكبرى» جماع أبواب (14/2)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (1110).

وقام تميم الداري ليلة بهذه الآية: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} [الجاثية: 21]، وكان منهج السلف الذين رسموه لأنفسهم ما ذكره أبو عبد الرحمن السلمي قال: حدثنا الذين كانوا يقرؤونا القرآن كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما: أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صصص، عشر آيات لم يجاوزها حتى يعملوا ما فيها من العلم والعمل. رواه أحمد في «المسند» (23482)، وقال مخرجه: إسناده حسن من أجل عطاء، وابن أبي شيبه في «فضائل القرآن» (30549). وفي «الإتقان»: أقام ابن عمر رضي الله عنه، على سورة البقرة ثمانين سنين. رواه مالك باب «التعليم والتعلم» (5846/8)، بلاغا، والبيهقي في «الشعب» باب «تعظيم القرآن» (331/2)، عن مالك بلاغا. ذلك أنه كان يحفظ ولا ينتقل من آية إلى آية حتى يفهم ما فيها من معان.

وقد جاءت الأحاديث تصف حال قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وقد سماهم النبي صصص: «شرار الخلق»، فعن أبي ذر قال: قال رسول الله صصص: «إن بعدي من أمتي -أو سيكون من أمتي- قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز حلقهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه، هم شرار الخلق والخلقة». رواه مسلم في «الزكاة» (1067)، وابن ماجه في «المقدمة» (170).

(12) محمد إقبال: فيلسوف وشاعر وحكيم وداعية ومجاهد، ولد في ولاية «البنجاب» سنة 1877م، ونشأ في كنف أسرة صالحة يغلب عليها التصوف، مما كان له أثر كبير في نشأته، أحب الثقافة والآداب الإسلامية، كما درس الثقافة الغربية، ونقد نزعتها المادية، وعاش هموم أمته وعمل على إصلاحها والنهوض بها، توفي سنة 1938م.

للقرآن، واستطاعه إياه، وقد حكي قصته لقراءة القرآن، وقال: «قد كنت تعودت أن أقرأ القرآن بعد صلاة الصبح كل يوم، وكان أبي يراني، فيسألني: ماذا أصنع؟ فأجيبه: أقرأ القرآن. وظل على ذلك ثلاث سنوات متتاليات يسألني سؤاله، فأجيبه جوابي، وذات يوم قلت له: ما بالك يا أبي، تسألني نفس السؤال؟ وأجيبك جوابا واحدا، ثم لا يمنعك ذلك عن إعادة السؤال من غد؟ فقال: إنما أردت أن أقول لك يا ولدي! أقرأ القرآن كأنما أنزل عليك! ومنذ ذلك اليوم بدأت أتفهم القرآن، وأقبل عليه، فكان من أنواره ما اقتبست، ومن درره ما نظمت»⁽¹³⁾.

وكيف لا نخشع لتلاوة القرآن أو لسماعه، والله يقول: {لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خُسْبًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ} [الحشر: 21]، أي: لتصدع الجبل وتزلزل على قوته وشموخته ورسوه في الأرض، ويقول: {الَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ} [الحديد: 16]. وإذا وجد الخشوع تضاعف أجر القراءة وثوابها، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: {الْم} حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»⁽¹⁴⁾.

وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهمية الخشوع فقال: «إن هذا

(13) ديوان محمد إقبال (34/1).

(14) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (216/1)، والترمذي في «فضائل القرآن» (2910)، وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه، والبيهقي في «الشعب» باب «تعظيم القرآن» (324/2)، وصحه الألباني في «الصحيحة» (3327).

القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا»⁽¹⁵⁾، ومع هذا نرى بعض الناس يقرؤون القرآن أو يسمعون لمجرد أنه نغم، دون تدبر أو خشوع، يسمعون القوارع والزواجر التي تزلزل القلوب بتهديدها ووعيدها، وتتعالى صيحاتهم بالإعجاب بصوت القارئ.

يسمعون قول الله تعالى: {خُذُوهُ فَغُلُّوهُ 30 ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ 31 ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ} [الحاقة: 30-32]، أو قوله تعالى: {فَإِذَا جَاءَتْ الطَّائِفَةُ الْكُبْرَى 34 يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى 35 وَبَرَزَتْ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى} [النازعات: 34-36]، أو قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} [النساء: 10]، فترفع صيحات الإعجاب كأن القرآن لا يتحدث عن القيامة وأهوالها، أو جهنم وأغلالها وسعيرها! إن هؤلاء في غفلة للأسف. نحن المسلمين لم نعد نقرأ القرآن ونسمعه كما ينبغي، لذا نجد أعداء الإسلام أصبحوا يذيعون القرآن من إذاعتهم؛ لأنهم اطمأنوا أن القرآن لم يعد يحرك فينا ساكنا، أو ينبه منا غافلا، لم يصنع منا كما صنع بالمسلمين الأوائل الذين طرأ القرآن على حياتهم فغيرها. فإسرائيل وغيرها يذيعون القرآن، ولو علموا أننا سنتدبره ونعمل به كسلفنا الصالح ما أذاعوه؛ لأن تدبره يؤدي إلى العمل به، وتدبر القرآن والعمل به هو الذي يجمع شتات الأمة، ويوحد صفوفها، ويجمع كلمتها، ويجعل منها أمة قوية كسلفها، ولذا فلا بد من العمل بهذا القرآن.

(15) رواه ابن ماجه في «إقامة الصلاة» (1337)، وأبو يعلى في «المسند» (689)، والبيهقي في «الشعب» باب «تعظيم القرآن» (2147)، وفي «الكبرى» كتاب «الشهادات» (231/10)، وضعفه الألباني في «ضعيف ابن ماجه» (281).

العمل بالقرآن:

إن القرآن لم ينزل ليقرأ على الأموات، وليتبرك به في المنازل والعربات، وإنما نزل منهاجا للفرد، ودستورا للدولة، ونظاما للحياة كلها ليحكمها بما أنزل الله زرز فيه من الهدى ودين الحق، قال تعالى: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ} [النحل: 89]، بين لنا الله فيه أصول الهداية، وأصول الحياة، وأصول التشريع، وأصول القيم: {إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} [الإسراء: 9]، {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأنعام: 155]، ويوم اتبع المسلمون هذا الكتاب وساروا وراءه، ونفذوا أحكامه وتعاليمه: كانوا خير أمة حقا كما أراد الله لهم، قادوا الدنيا بزمam، وفتحوا المشارق والمغارب بهداية هذا القرآن، وبالععمل به، لم ينشروا الإسلام بالسيف كما يزعم الأفاكون من المبشرين والمستشرقين وغيرهم، أي سيف هذا الذي يتحدثون عنه؟

لقد دخل الإسلام مصر ببضعة آلاف على رأسهم عمرو ابن العاص، وكانت مهمتهم أن يخرجوا الرومان الذين احتلوا مصر، وأن يتيحوا الفرصة أمام من يريد اعتناق الإسلام. لذا فقد تألف المسلمون مع الشعب القبطي المصري في ذلك الوقت، ولم يكرهوا أحدا على الإسلام، وبعد فترة انتشر الإسلام بين أهل مصر، لا بسيف، ولا بجيش، وإنما دخل الناس في دين الله أفواجا، حتى كان ولاية بني أمية يفرضون الجزية على من دخل في الإسلام، لكثرتهم، وحينما جاء عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، اقترح واليه على مصر أن يستمر في فرض الجزية على من أسلم، أسوة بمن كان قبله، لكثرة من أسلم من الناس، فبعث إليه عمر يقول: «قبح الله رأيك، إن

الله بعث محمدا هاديا ولم يبعثه جابيا»⁽¹⁶⁾.

فالإسلام لم ينتشر بالسيف، إنما انتشر بهداية القرآن، وبعمل المسلمين بهذا القرآن. كانوا صورة عملية لهذا القرآن، كان كل واحد منهم مصحفا يمشي على قدمين، يرى الناس فيه آداب القرآن، وأخلاق القرآن، كما كان رسول الله صصص. سئلت عائشة رررا عن خلقه صصص، فأجابت بالجواب الجامع قالت: «كان خلقه القرآن»⁽¹⁷⁾، أي إذا أردت أن تعرف خلق الرسول صصص فافتح المصحف واقرأ: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا 63 وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا 64 وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا 65 إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا 66 وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا 67 وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا 68 يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا 69 إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَبْدِلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا 70 وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا 71 وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا 72 وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا 73 وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فَرَةً أَعْيِنَ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا 74 أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا

(16) رواه بن سعد في «الطبقات» (384/5)، وانظر: «البداية والنهاية» (188/9).

(17) رواه أحمد في «المسند» (25302)، وقال مخرجه: حديث صحيح، عن سعد بن هشام بن عامر قال: أتيت عائشة فقلت: يا أم المؤمنين، أخبريني بخلق رسول الله صصص؟ قالت؟ كان خلقه القرآن، أما تقرأ القرآن قول الله عز وجل: {وَأَنَّكَ لَ عَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: 4].

وَيُلْقُونَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا 75 خُلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا {الفرقان: 63-76}.

واقراء: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ 1 الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خُشِعُونَ 2 وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ 3 وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ 4 وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ 5 إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ 6 فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ 7 وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ 8 وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ 9 أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ} [المؤمنون: 1-10].

اقرأ أول سورة البقرة: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ 3 وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ 4 أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [البقرة: 3-5].

اقرأ أوصاف المؤمنين في أول الأنفال: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ 2 الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ 3 أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} [الأنفال: 2-4].

واقراء أوصاف المحسنين في سورة الذاريات: {وَاعْزِزْنِي مَا آتَانَهُمْ رَبُّهُمْ 1 إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ 16 كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ 17 وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ 18 وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ} [الذاريات: 16-19].

وأوصاف الأبرار في سورة الإنسان: {إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا 5 عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا 6 يُوفُونَ بِالْأَنْذَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا 7 وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبٍّ مَّسْكِينًا وَيَتِيمًا

وَأَسِيرًا 8 إِنَّمَا نَطَعَكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا 9 إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا غُوبًا قَمَطِيرًا 10 فَوَقَّاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا 11 وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرٍ { [الإنسان: 5-12]، تعرف أخلاق محمد صصص، فهو خير من جسد تعاليم القرآن في حياته، وهكذا كان المسلمون في العصور الأولى.

كان كل منهم قرآنا مرئيا مجسما بين الناس. بهذا نشروا الإسلام في العالمين، ولم ينشروه بالسيف كما يزعم المصلون. إن بلاد الشرق الأقصى: الفلبين، وإندونيسيا، وماليزيا، وهذه البلاد التي فيها مئات الملايين من المسلمين، لم يدخلها فاتح مسلم، ولم تطأ أرضها خيول المسلمين ولا جيوشهم، فمن أين أسلموا؟ أسلموا بعمل المسلمين بالقرآن.

ومن هنا كان علينا نحن مسلمي اليوم، إذا أردنا أن نكون من أهل القرآن كما قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ». قالوا: يا رسول الله، من هم؟ قال: «هم أهل القرآن، أهل الله وخاصته»⁽¹⁸⁾. هل مجرد أن يقرأ الإنسان القرآن بلسانه، وقلبه بعيد عنه كل البعد، وحياته تنافيه، يشفع له يوم القيامة؟ ومن يقول هذا؟ السلف يقولون: رب تال للقرآن، والقرآن يلعبه⁽¹⁹⁾.

وكانهم يحذرون من يقرأ قول الله تعالى: {أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [هود:

(18) رواه أحمد في «المسند» (12279)، وقال مخرجه: إسناده حسن، والنسائي في «الكبرى» كتاب «فضائل القرآن» (8031)، وابن ماجه في «المقدمة» (215)، والحاكم في «فضائل القرآن» (2046)، وقال الذهبي: روي هذا الحديث من ثلاثة أوجه عن أنس هذا أمثله، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (2165).

(19) ذكره الغزالي في «الإحياء» عن أنس (274/1).

[18]، ويظلم، ويقرأ: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُجِبُّ الْخَائِنِينَ} [الأنفال: 58]، ويخون، يحذرونه من أنه لن تناله شفاعة القرآن، وكيف تناله وحاله هذا؟ إنما يشفع القرآن لمن قرأه وعمل به، كما جاء عن النبي صص: «القرآن شافع مشفع، وماحل مصدق، فمن جعله أمامه: قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره: قاده إلى النار»⁽²⁰⁾، أي من جعل القرآن أمامه وإمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه، واتخذ وراءه ظهريا، وجعله نسيا منسيا، فإن القرآن يزجه في قفاه حتى يرديه في النار؛ لأنه آخر ما يجب أن يقدم، ووضع القرآن في غير موضعه. إنما يشفع القرآن لمن قرأه وعمل به، لمن أحيا به ليلة، وعمل به نهاره، كما جاء في الحديث، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب إنني منعتك الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه. ويقول القرآن: رب منعتك النوم بالليل فشفعني فيه. فيشفعان»⁽²¹⁾.

وأیضا جاء في الحديث: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالا، فهو ينفق منه آناء

(20) رواه عبد الرازق (6010)، وابن أبي شيبة (30677)، كلاهما في «فضائل القرآن»، وقال عوامة: هذا موقف رجاله ثقات، لكنه منقطع، لكن رواه عبد الرازق من وجه آخر صحيح، والطبراني في «الكبير» (198/10)، والبيهقي في «الكبرى» كتاب «الأضاحي» (19490)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (4443).

(21) رواه أحمد في «المسند» (6626)، وقال مخرجه: إسناده ضعيف، والحاكم في «فضائل القرآن» (740/1)، وصححه على شرط مسلم، وسكت عنه الذهبي، والبيهقي في «شعب الإيمان» باب «تعظيم القرآن» (346/2)، وأبو نعيم في «الحلية» (161/8)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: رواه أحمد والطبراني في «الكبير»، ورجال الطبراني رجال الصحيح (419/3)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (3882).

الليل وآناء النهار»⁽²²⁾، والمراد بالحسد هنا: الغبطة، أي يتمنى أن يكون مثله في قراءة القرآن، أو الإنفاق، ولا يتمنى زوال نعمته، فتمنى زوال النعمة هو الحسد الذي: «يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»⁽²³⁾. إنما يشفع القرآن لمن أحيأ به ليلة، وعمل به.

ومن هنا كان واجبنا نحن المسلمين أفرادا وجماعات ودولا: أن يصبح القرآن منهاج حياتنا. وقد رسم القرآن لنا المنهاج الكامل للحياة التي يحيها الإنسان، في علاقته بالله عقيدة وعبادة في علاقة الرجل بزوجه والمرأة بزوجها: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ} [البقرة: 228]، في علاقة الوالد بولده، والولد بوالديه، في علاقة الفرد بالآخرين من الناس، في علاقة الحاكم بالمحكومين⁽²⁴⁾.

(22) متفق عليه: رواه البخاري في «التوحيد» (7529)، ومسلم في «صلاة المسافرين» (815)، كما رواه أحمد في «المسند» (4550)، والترمذي في «البر والصلة» (1936)، وابن ماجه في «الزهد» (4209)، عن ابن عمر.

(23) رواه أبو داود في «الأدب» (4903)، وعبد بن حميد في «المسند» (1430)، وضعفه الألباني في «ضعيف أبي داود» (1048). عن أبي هريرة، أن النبي صصص قال: «إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب». أو قال: «العشب»، وله شاهد من حديث أنس، رواه ابن ماجه في «الزهد» (4210).

(24) الله تننت أنزل القرآن الكريم وجعله كتابا لأسمى المبادئ، وأقوم المناهج، وخير النظم، وحافلا بكل ما يحتاج إليه البشر في جميع جوانب حياتهم، جانب العقيدة والتصور، جانب العبادة والتنسك، جانب الأخلاق والسلوك، جانب التشريع والنظام، وقد قال الله تعالى: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} [النحل: 89].

فهو يشرح للناس العقيدة الحقّة، ويبين ما لله من صفات الكمال، ونعوت الجلال، ومظاهر عظمتة، وأدلة قدسه، وشمول علمه، ونفوذ قدرته، وتفردته بالخلق والإبداع. =

= ويعرض الطبيعة أمام الفكر والعقل والنظر؛ ليهتدي الإنسان بالتأمل فيها إلى الله، خالق هذا الكون ومبدعه: {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ} ٥٩ عَالَمٌ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ 59 أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ٥١ أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْلَمُونَ 60 أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ٥٢ أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ 61 أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ٥٣ أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ 62 أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتٍ أَلْبَرًا وَالْبَحْرَ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ٥٤ أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [النمل: 59-63].

ويعرض أسماء الله الحسنى، وصفاته العليا، إذ هي النوافذ التي تطل منها القلوب على معرفة الله: {هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ 22 هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ 23 هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الحشر: 22-24].

وفصل القرآن المصدر الذي جاء منه الإنسان، والمصير الذي ينتهي إليه، وغايته بين البداية والنهاية: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ 115 فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ} [المؤمنون: 115، 116]، {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى} [القيامة: 36]، {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ 56 مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا 57 إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} [الذاريات: 56-58].

ويرسم القرآن للناس طريق العبادة: من الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والذكر، والفكر، والدعاء، والتلاوة، والإخلاص، والتوكل، والرجاء والخوف، والخشية والحب، والتوبة والإنابة؛

ليربطهم بالله تعالى، فتتهذب نفوسهم، وتقوي إرادتهم، وتسمو أرواحهم إلى مدارج العز والكرامة؛ ولتتجرد من ماديات هذه الحياة، وتتجه إلى خالقها وبارئها؛ لتستمد منه النور والهدى، وتستعين به على الاضطلاع بأمانة الحياة: {قُلْ إِنْ صَلَّاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ 162 لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام: 162، 163].

وأفاض القرآن في النواحي الأخلاقية، والآداب العامة والخاصة، والفضائل التي تنهض بالفرد وترقى بالجماعة، وألح في الدعوة إليها، والحث عليها ليكتمل المجتمع الإنساني، ويصل إلى المنزلة التي يكون فيها أهلاً لخلافة الله في الأرض: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} [النساء: 58]، {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادَةٍ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ 32} قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف: 32، 33].

وبالإضافة إلى هذا يضع النظام الذي يربط الإنسان بأخيه الإنسان، ويحدد الصلات بين الأفراد بعضهم ببعض، في التعاون وسائر المعاملات، لدرء الخصومة ورفع الخلاف. ويشعر الشرائع الاجتماعية التي تنظم التشريع الأسري، كالزواج، والطلاق، والوصية، والميراث.

والتشريع المدني المتعلق بمعاملات الناس، كالبيع، والشراء، والرهن، والإجارة.

والتشريع الجنائي المتعلق بالحدود، والقصاص، كالسرقة، والقتل.

والتشريع الحربي المتعلق بالقتال، وعهود الحرب والسلام، وعلاقة الدولة الإسلامية بغيرها.

بهذا وغيره جاءت آيات القرآن موجزة جامعة، تضع الأسس والأصول التي ترسم منهاج الحياة، حتى في الأمور البسيطة كالمشي، وآداب الزيارة، يعلمنا القرآن كيف نمشي فيقول سبحانه: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} [الفرقان: 63]، أي لا يمشون متبخثرين متجبرين لكن بسكينة وتواضع. ويقول أيضا: {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا} [الإسراء: 37]، أي لا تمش مختالا متكبرا لأنك مهما دببت على الأرض بقدمك، أو تمطيت إلى السماء بعنقك، فلن تخرق الأرض، ولن تبلغ الجبال طولا. ويقول عز وجل: {وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ} [لقمان: 19]، أي لا تهرول كالحمقى، ولا تتباطأ أو تتماوت وإنما كن متوسطا.

وفي آداب الزيارة يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى

= والتشريع السياسي المتعلق بنظام الحكم والسياسة العادلة.

وغاية القرآن من ذلك كله أن ينشئ الفرد السوي، والأسرة المسلمة، والمجتمع الفاضل، والحكومة الصالحة، ليتألف من هؤلاء جميعا كيان إسلامي قوي، يقيم الحق والعدل، ويرفع الظلم، ويدفع العدوان، لتكون لهم وراثه الأرض: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} [الأنبياء: 105].

وهذه هي غاية الأديان والرسالات جميعا: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحديد: 25].

تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ 27 فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ [النور: 27، 28].

هذا التعبير القرآني: {حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا} يعلمنا أسمى وأرقى أنواع الذوق الإنساني؛ لأنه لا يدل على مجرد الإذن، وإنما يدل على الإذن والاستعداد والرغبة في زيارتك. أي ما يسمونه «الإتكيت»، أو «البروتوكول»، من هذا الأدب القرآني الذي يرتفع بنا إلى درجة الاستئناس عند الزيارة؟

{وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ}، لا شيء في عدم الإذن أو الرجوع التماساً للأعذار، أو لعدم الاستعداد في الحال، لا ينبغي أن يكون في عدم الإذن غصة أو غضاظة؛ لأن القرآن لا يرى ذلك. حكى الأستاذ البهي الخولي رحمه الله، عن الإمام الشهيد حسن البنا أن جماعة من الناس زاروه وكان مشغولاً لأمر ما، فطلب من ابنه أو أخيه أن يفتح لهم، وأن يدخلهم المجلس ففعل، ثم أمره أن يقدم لهم تحية الضيف، وبعد فترة جاءهم واعتذر إليهم عن الجلوس معهم لانشغاله بأمر ما، فغضبوا ولاموه. فقال لهم: القرآن حكم بيننا، الله يقول: {حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا} [النور: 27]، وأنتم لم تستأذنوا؛ لأنكم جئتم في وقت غير مناسب لي، واستقبلكم أحد أفراد البيت وقدم لكم واجب الضيف دون حضوري، وكان يمكن أن تفهموا بعد هذا أنني مشغول فتصرفوا، ولم تفعلوا وحضرت أعتذر إليكم بنفسي فلم تقبلوا، مع أن الله تعالى يقول: {وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ} [النور: 28]. قال: وكانوا على شيء من الفقه والعلم. فقالوا: أفحمتنا، الحق معك. فسلموا عليه وانصرفوا. هكذا يحكم الناس القرآن في سلوكهم وتصرفاتهم؛ لأنه رسم لنا

آداب السلوك، فلو أننا كنا قرآنيين لكانت حياتنا أرفع حياة. نحن لسنا في حاجة إلى استيراد التقاليد أو الآداب من هنا وهناك، عندنا ما يكفيننا، فقد أعطانا القرآن كل شيء، فحبذا العود إليه، فبالقرآن نعر بعد ذلة، ونقوى بعد ضعف، ونأمن بعد خوف، وتعود إلينا السيادة، ونصبح في طليعة الأمم بعد أن أصبحنا وراء القافلة، كنا في مأخذ الزمام، يوم كنا قرآنيين، فلما أعرضنا عن القرآن أصبحنا في مؤخرة الأمم. الآن يقولون عنا العالم الثالث، أو الدول النامية أي المتخلفة، ولكنهم يخفون العبارة فيسمونها الدول النامية.

يوم كنا قرآنيين كانت أمتنا في الطليعة، كانت إماما للدنيا، وقادت الدنيا بهذا الكتاب العظيم.

فواجبنا نحن المسلمين أن نعود للقرآن، نحسن قراءته، ونحسن الاستماع إليه، ونحسن فهمه وتدبره، ونعيش معه بقلوبنا وعقولنا، ثم نحكمه في حياتنا: حياتنا الفردية، حياتنا الأسرية، حياتنا الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية. نحل ما أحل هذا القرآن، ونحرم ما حرمه، هذا واجبنا جميعا، ليس واجب الرجال وحدهم، ولا واجب النساء وحدهن، هو واجب الرجال والنساء، والحكام والمحكومين، واجب المسلمين جميعا.

فالقرآن هو روح هذه الأمة: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [الشورى: 52]، هو روح ونور: روح يحيي، ونور يضيء. ولكن للأسف نحن المسلمين لا نستفيد من هذا النور وإن كان معنا وفي أيدينا.

ومن العجائب والعجائب جمّة قرب السبيل وما إليه وصول
كالعيس في البیداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول

إذا أردنا أن نسعد في الدنيا، وأن نفوز في الآخرة، وأن يرضى الله تتنت
عنا، إذا أردنا ذلك: فعلينا أن نعود إلى القرآن، أن نعود إلى كتاب الله تعالى.
هو المخرج من كل فتنة وظلمة، كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي،
عن علي ابن أبي طالب ررر، أنه سمع النبي صصص: «ستكون فتن كقطع
الليل المظلم». قلت: «وما المخرج منها، يا رسول الله؟» قال: «كتاب الله،
فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس
بالهزل، هو الذي من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في
غيره أضله الله، فهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط
المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا
يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو
الذي لم ينته الجن إذ سمعته أن قالوا: {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا} [الجن: 1]،
هو الذي من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن
دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم». والحديث ضعيف. ولكن معناه
صحيح⁽²⁵⁾.

واجباتنا نحو القرآن كثيرة، اكتفينا منها بما ذكرناه هنا، ولكن نشير فقط
إلى ضرورة فهم القرآن، وهذا هو مقتضى تدبره، وعلينا أن نستعين في فهمه

(25) رواه الترمذي في «فضائل القرآن» (2906)، وقال: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث
حمزة الزيات، وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال، والدارمي في «فضائل القرآن»
(3331)، والبزار في «المسند» (483)، عن علي بن أبي طالب، وضعفه الألباني في
«ضعيف الترمذي» (544).

بتفاسير المفسرين، وكل تفسير له مزايا، والبصير من أحسن الاستفادة منها.
كما نشير إلى ضرورة الدعوة إلى القرآن، دعوة المسلمين للرجوع إليه،
والاحتكام إليه، رعاة ورعية، ودعوة غير المسلمين ليقبلوا على دعوته،
ويؤمنوا برسالته، فهو المصدر الأول للدعوة، كما أنه المصدر الأول
للتشريع.

ولعلنا في فرصة أخرى نفصل بعض هذه الواجبات⁽²⁶⁾.

* * *

نسأل الله تتب بكل اسم هو له، سمي به نفسه أو أنزله في كتابه، أو علمه
أحدا من خلقه، أو استأثر به في علم الغيب عنده، أن يجعل القرآن الكريم ربيع
قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همنا وغمنا، وأن يجعلنا
قرآنيين مسلمين، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، الذين
بشرهم الله بقوله: {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ
وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ} [الزمر: 18].

وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

(26) انظر: كتابنا «كيف نتعامل مع القرآن العظيم». نشر: دار الشروق - بالقاهرة.